مجلّة
اللّغة العربيّة وآدابها
رقم الإيداع القانوني: 8004-2013 ISSN: ر.د.م.د: 9830-2352

الثورة الجزائرية في الشّعر الشّعبي اللّيبي

The Algerian revolution in the Libyan popular poetry

د/ عطية رغيسة Attia Rghissa
جامعة لونيسي علي البليدة 2

تاريخ الإرسال : 2018/03/13 تاريخ القبول:12 /2018/05

الملخص:

نالت الثورة الجزائرية حظا وافرا من الذيوع والشهرة في الأوساط الأدبية وخاصة في الأدب الرسمي، سواء داخل الوطن أو خارجه إلا أن صداها على مستوى الشعر الشعبي خارج الوطن ظل مغمورا . وهذا المقال يتناول حضورها في الشعر الشعبي الليبي، مبينا كيف تفاعل معها هؤلاء الشعراء -شعراء العامية - وكيف وقفوا يناصرونها بالكلمة الشاعرة الصادقة، ناقمين ومعرضين بالاستعمار الفرنسي مطالبين بالاستقلال التام لشقيقتهم الجزائر.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية؛ الشعر الشعبي الليبي.

Abstract :

The Algerian revolution got plenty fortunate of publicity and fame in literary fields, particularly in the official literature, whether inside or outside the hometown , but its resanance on the level of popular poetry, outside the country remained immersed.

This article deals with the presence in the Libyan popular poetry, explaining how those poets -colloquial poets – interacted with it and how they stood up by sincere poetic word, exposed to French colonialism and demanding complete independence to their sister Algeria.

Keywords: the Algerian revolution; the Libyan popular poetry.

*** *** ***

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

مقدمة:

استرعت الثورة الجزائرية أنظار المؤيدين وأحرار العالم، حيث نجد صداها في كثير من الكتابات التي تحدثت عنها ورصدت تطورها. سواء النثرية منها أو الشعرية وحتى الدراسات التحليلية، وقد ساندها كبار الشعراء العرب كالجواهري والسياب ونازك الملائكة. وهذا على مستوى الأدب الرسمي أو الفصيح، أما على مستوى الأدب الشعبي فقد تجاوب معها كذلك الشعراء الشعبيون مُشَكِّلين موقفا واحدا يتمثل في الرفض المطلق واللامشروط لتواجد الإستعمار الأجنبي على أرض الوطن العربي ومنه الجزائر فأعطوها بذلك صدى عالميا وإنسانيا، فافتكت بذلك تأييد أحرار العالم مثل "جان بول سارتر"، "إيفه بريستير" و "سرقان شريبر".

إذا كان أحرار العالم وقفوا إلى جانب الثورة الجزائرية، فما بالك بالأشقاء العرب ومنهم الشعب اللّيبي الشقيق.

1- الثورة الجزائرية والموقف الشعب اللّيبي منها:

1-1- في معنى الثورة:

الثورة تعني: " نقطة تحول في الحياة الاجتماعية تدل على الإطاحة بما عفى عليه الزمن وإقامة نظام اجتماعي جديد ". [1] كما تعني من الوجهة القانونية تغيير شامل جذري مفاجئ في النظام الدستوري عن طريق العنف، وهذا حق يمارسه الشعب أومن يمثله.[2]

فإذا لم تتعرض الأوضاع الدستورية للتغيير الجذري، ولم يؤيدها الشعب فهي (انقلاب) أما إذا اقتصرت الثورة على فئة معينة للمطالبة برفع ظلم أو تحقيق غرض فهي (تمرد وعصيان)، وإذا حدث التغيير ببطء دون عنف على المدى البعيد فهي تطور وإصلاح.[3]

أما إذا كانت الثورة تهدف إلى التحرير من السيطرة الأجنبية والتحرر من براثن الاستعمار، فهي حرب تحرير مشروعة مثل الثورة الجزائرية.

وحق الثورة يكتسب شرعيته من مبدأ سيادة الشعب وتحدث هذه الشرعية من لحظة انتصار الثورة.

1-2- الثورة الجزائرية:

يشكل العالم الثالث القوة الدولية الصاعدة، فقد اضطهدته الدول الاستعمارية الكبرى، علما أن دول هذا العالم – الثالث – هي دول وارثة لحضارات قديمة متراكمة. كما أن له مستقبل يتمثل في الثروات الطبيعية الكامنة فيه بالإضافة إلى الموارد البشرية الهائلة التي – كلها – لم تستغل الاستغلال الأمثل بعد.

وبالتالي، فثروات العالم الثالث المضطهد، المستغلة، لابد لها من ثورات تحميها، والتي من خلالها يستعيد هذا العالم – الثالث- هويته الوطنية والتاريخية، وهذا معناه، أنه يرفض رفضا قاطعا تواجد الاستعمار الذي لابد من تصفيته لكي يتحرر سياسيا وثقافيا واقتصاديا.

والثورات العربية في ضوء ثورات العالم الثالث، صاغت أهدافها، فجاءت ردا عفويا على كل معطيات العالم – الأول – الفاسد، وكان لابد من التحرر.

الثورة الجزائرية كباقي ثورات العالم الثالث، بل هي أعظمها وشهد بذلك القاصي والداني، فـ"الجزائر أول بلد مغربي عربي احتلته فرنسا، فقد غزاه الفرنسيون سنة 1830 م وسلمته إليهم القوة العثمانية الضعيفة"[4] ولم يستسلم الشعب الجزائري للقوات الفرنسية الغازية بسهولة، وإنما نظموا مقاومات شعبية كانت بدايتها مقاومة الأمير عبد القادر الباسلة " وهي أول ثورة شعبية للجزائريين أو بالأحرى مقاومة، وقد ظلوا يقاومون الفرنسيين، واشتدت مقاومتهم بعد الحرب العالمية الأولى ... فتكونت الجبهة الشعبية ثم جمعية المؤتمر الإسلامي ثم كتلة النواب، فكتلة نجم شمال إفريقيا التي تحولت إلى حزب الشعب، وفي الحرب العالمية الثانية تكون حزب البيان الديمقراطي، وكل هذه الأحزاب والجمعيات عملت على إشعال جذوة المطالب الوطنية ومطلبها الأكبر هوالاستقلال"[5] وسرعان ما نشبت الثورة الجزائرية في سنة 1954م. فهذه الثورة الجزائرية التي انتصرت في 5 جويلية 1962 م هي جزء من الثورة العربية تتداخل في أهدافها الرؤية التحريرية والرؤية القومية.[6]

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

1-3- موقف الشّعب اللّيبي من الثورة الجزائرية:

ساند الثورة التحريرية الجزائرية أحرار العالم لأنها ثورة حق ومبادئ ضد الظلم والاستعباد، وقد سبقتها مقاومات عديدة خلال القرن التاسع عشر كمقاومة الأمير عبد القادر، ومقاومة أحمد باي ومقاومة الشيخ المقراني والشيخ الحداد ولالا فاطمة نسومر والشريف وبوبغلة والشيخ بوعمامة والزعاطشة وأولاد سيدي الشيخ.[7] وما ثورة 54-62 إلا تتويجا لهذه المقاومات الشعبية السابقة، وقد رافق الشعر الشعبي الوطني هذه المقاومات [8] كما رافق الثورة المباركة.[9] وعبر عنها أحسن تعبير.

شارك الأشقاء العرب الجزائريين في محنتهم أثناء الثورة، سواء كانوا مشارقة أو مغاربة . ومن بين هؤلاء الشعراء الليبيون، بشقيهم شعراء الفصحى وشعراء العامية (الشعبي)، والذي يعنينا هنا هم شعراء العامية، فبالرجوع إلى ما كتبوا، فإننا واجدون قصائد شعبية نظمت في هذا المجال، وتمحورت حول المحاور الآتي ذكرها، وهي تعكس مدى التفاعل الإيجابي بين الشاعر الشعبي الليبي وثورة الجزائر، معتبرين أن هذه القصائد تمثل شهادات حيّة هامة وهو كون الثورة شعبية، تفاعلت معها شعوب العالم، فضلا عن الأشقاء العرب.

وأبرز مظاهر التفاعل الشاعر الشعبي الليبي وبين الثورة الجزائرية وتتمثل في:

2- مظاهر الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي اللّيبي:

2-1- الدعوة إلى مقاطعة البضائع الفرنسية:

أولى الليبيون اهتماما كبيرا بالثورة التحريرية الجزائرية، ووقفوا إلى جانبها يناصرونها، باعتبارها ثورة حق ضد الغزاة الفرنسيين، ويتجلى ذلك فيما نشر في بعض الجرائد التي كانت تصدر في ليبيا في فترة الخمسينات من القرن الماضي (العشرين) ومنها "جريدة طرابلس الغرب التي أولت أهمية كبيرة للثورة الجزائرية وكانت تتحول في بعض الأحيان وكأنها الناطق الرسمي باسم الثورة الجزائرية".[10]

من بين ما دعا إليه الشعراء الليبيون مقاطعة البضائع الفرنسية، وهو موقف سياسي وقومي يبين مدى وعي هذا الشعب – الشقيق – المغاربي لما يحوك ضد إخوانهم الجزائريين المضطهدين، وهو نوع من المقاومة الشعبية الناعمة، وهذا موقف طبيعي يصدر عن شعب

تربطه مع الشعب الجزائري كل مقومات العروبة والإسلام، يقول الشاعر الشعبي الصادق خواص في قصيدة (واجب علينا مقاطعة فرنسا)[11] ما نصه:

الـمقَاطَعَة هِيَ إِلِي نَـتْـبَـنَاوْهَا
تَشْمَـلْ بْلَادْ الْعْـرَبْ نَـتْمَنَوْهَا
الأَقْوَالْ فُوقْ الصُحُـفْ نْخَلُوهَا
وَلَازَمْ تْكـُونْ أَعْمَــالْنَا إيجَابيَة
فِي أَرْضْ الجَزَائرْ مَذْبَحَة وَحْشِيَة
وَأَمْوَاتْ فِيهَا أَعْدَادْهُمْ بِالْمِيَة
هَـذَا عَـمَـلْ فْـرَنْـسَا دَارْتُهْ
وَعَادَاتِ الرَأْيْ العَامْ وَتْحَدَاتُه
وَميثَـاقْ هَيْئَـة الأُمَمْ لَـفَاتُه[12]
بحُـقُوقِ الإنْسَانِيَة الْبَـشَـرِيَة[13]

إنها دعوة للعرب كلهم بأن يقاطعوا البضائع الفرنسية، وهذا ربما أقل واجب يؤدونه تجاه قضية الجزائر العادلة، فليس من المعقول أن يستقل كل العرب وتبقى الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي الذي ابتليت به أكثر من قرن وربع، علما أنه أول بلد عربي استعمر، كما يدعو الشاعر إلى ترك التنديدات الجوفاء ومجرد الكلام والشجب الذي لا يؤدي إلى نتيجة ملموسة، وإنما هو يريد بوصفه شاعرا واقعيا ملتزما مناضلا، موقف فعل لا موقف كلام، لأن الثورة واقع يعيشه الجزائريون بكل شرائحهم، وكله ظلم وقهر وتشريد وتقتيل وإبادة جماعية، وقد شهد شاهد من أهلهم يقول: " لقد قدمت إلى الجزائر لأسعى مع رفاقي بالاحتفاظ بالجزائر تحت الحكم الفرنسي لا لأحولها إلى رماد. إن ما نفعله هنا (في الجزائر) مهزلة لا معنى لها، كلها قتل وتقتيل دون تمييز لئلا نعرض أنفسنا للخطر. ولكني اعتقد أن جنودنا لا يجازفون بحياتهم لو عادوا إلى فرنسا وتوطنوا فيها بدلا من أن تدوم هذه المهزلة القذرة أطول من ذلك ومن تحويل جميع الجزائريين إلى ثوار"[14] فسياسة فرنسا العدوانية هي التي حوّلت المواطنين - الجزائريين - إلى ثوار أبطال.

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

ويصرح الشاعر بهذه المقاطعة، وخلفه الشعب الليبي، وهي دعوة ضمنية إلى توحيد المغرب العربي، فإن لم يكن على المستوى الرسمي فعلى الأقل على المستوى الشعبي، أليست كل مقومات وجوده واحدة، يقول الشاعر:

وَاجَبْ عْلِينَا نْقَاطْعُوا بْضَاعَتْهَا
وَمِنْ كُلْ دَوْلَة نَطَرْدُوا سْفَارَتْهَا
ونَـفَـهْـمُـوا فْـرَنْـسَـا قِـيمَتْـهَا
شْـعُـوبْ آسْيَـا وَإفْرِيقْيَا جَمِيلَة
فِي لِيـبْـيَا، الـعُمَالْ قَاطَعْنَاهَا
وَجـاَتْنَا بِضَـاعَـتْهَا وَرَدِينَـاهَا[15]

كما يدعو الشاعر بقية أحرار العالم إلى مساندة القضية الجزائرية وأن يهبوا هبة رجل واحد ليتم الحسم النهائي وتنال الجزائر استقلالها على غرار بقية دول العالم التي تبنت الكفاح المسلح خيارا عسكريا لحل المعضلة الاستعمارية، يقول:

الـعَمَلْ لاَزَمْ نُدُخْلُوا مَيْدَانُه
لُغَة القُوَة كُلْ وَاحَدْ يَفْهَمْهَا
وهِيَ تْـرَدْ فَرْنْسَا وَتَـرْغَـمْـهَـا
بْـلَادْ الجَزَائِرْ لِأَهْلْهَا نْسَلَمْهَا
بُلْدَانْ خْلَتْهَا[16] بِهَا[17] الكَيْفِيَة
نَادِي العُرُوبَة بِاسَمْهُمْ قَوْمِيَتْهُمْ
وبِأُخُوَةْ الإِسْلَامْ وشَرْعِـيَتْـهُمْ
لَازَمْ يَجْرُوا وَيْسَانْدُوا ثَوْرَتْـهُمْ
يْكُونُوا مْعَاهُمْ بِكُلْ عَزْمْ وَنِيَة[18]

وهكذا اعتبرت القضية الجزائرية قضية كل أحرار العرب وأحرار العالم لأن الثورة كما يقول الشاعر "ثورتهم" فوجب الدفاع عنها.

2-2- إدانة (ديغول) على اقترافه لجرائم ضد الجزائريين:

أدان الشاعر الشعبي الليبي سياسة ديغول التي جاء بها من أجل إسكات الجزائريين وثنيهم عن المطالبة بحقوقهم المشروعة ووصفها الشاعر بأنها سياسة غامضة وعقيمة، لأنه " منذ أول لحظة تولى فيها – ديغول – الحكم وهو دائم التفكير في قمع الثورة الجزائرية والانتهاء من حرب الجزائر إلى الأبد، وجرب من أجل ذلك عدة مخططات إصلاحية وحربية، منها إرضاء الجزائريين بمشاريع اقتصادية واجتماعية وهمية للتخلي عن مساندة الثورة، وفي الوقت نفسه للضغط على الثوار بكل ما أمكنه من قوة عسكرية قصد القضاء عليها في أسرع وقت"[19] وبهذا أعطى صورة غير مشرفة للمستعمر المستبد يجليها الشاعر الشعبي الليبي فيقول:

دِيـــــغُـــولْ دَايَـــرْ نَـصْبَـه
وفِي السِلْمْ مَاعَنْدُوشْ فِيـهْ ذَرْعَة
تَـلْـقَاهْ يَـتْـلَـوَنْ تَـلَوُنْ الحِرْبَة
مَنْبَعْ سِيَـاسْتُه غَامْضَة وَ مْلَوْيَة
مَنْبَـعْ سِيَاسْتُه غَامْضَة وعْقِيمَة
ومَشِي وَاْضْحَة لِلْحَقْ وتَعَالِيمُه[20]

وقد أعلن ديغول من باريس عن دستوره الجديد للتصويت عليه في كل من فرنسا والجزائر باعتبار هذه الأخيرة جزءا لا يتجزأ من فرنسا، وكان يرمي من ورائه إلى ربط الجزائر وفرنسا كلا منهما إلى الأبد، لكي يوهم الرأي العام العالمي بأن الجزائريين يريدون البقاء مع فرنسا. ولكن جبهة التحرير الوطني ردت عليه بنداء موجه إلى الشعب الجزائري مفاده مقاطعة هذا الاستفتاء " ولما بدأ الاقتراع على دستور ديغول في الجزائر صباح 26 سبتمبر 1958 م لبّى الشعب الجزائري بأسره نداء جبهة التحرير بمقاطعته هذا الاستفتاء المزور مسبقا مما أرغم السلطات العسكرية الفرنسية أن تقتحم بيوت الناخبين وتسوقهم بالقوة إلى مراكز الاقتراع، ورغم عدم مشاركة الجزائريين في هذا الاقتراع إلا أن نتيجته كانت معروفة مسبقا بالتزوير، حيث أعلنت السلطات الفرنسية أن دستور ديغول فاز بـ

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

98 % من أصوات الجزائريين وصوت ضده فقط 2 %"[21] هذا الوضع المزري عبر عنه الشاعر الشعبي الليبي الذي يشارك الجزائريين محنتهم، ويتبنى مواقفهم، يقول ما نصه:

دِيـغُــولْ فِي زَعْـمَـه وَتَخـْمِيـمَه
اسْتَفْـتَاه هَذِه طَرِيقْتُه الشَـرْعِـية
اسْتَفْـتَاه جَـاوَهْ النَاسْ بِـرَغْبَتْـهُمْ
وَجَـاوْ صَوْتُوا زَعْـمَـا بْحُرِيَتْـهُمْ؟
وإلَا بـالْقُـوَة الضَـالَة جَابَتْهُمْ
وفَرْضَتْ عَلِيهُمْ كِيفْ تَمْشِي هِيَ[22]

وظن ديغول أنه بهذا الاستفتاء يحل المشكلة الجزائرية الفرنسية، ولكن هذا الإجراء الذي انتهجه زاد الطين بلة، يقول الشاعر:

اسْتَفْـتَاه زَعْمَا المشْكِلَة يَنْهِيهَا
ويَأخُذْ رِضَا الطَرَفَيْنْ ويْسَوِيـهَا
و إلا يْـزِيـدْ الـنَـارْ وْ قَوِيـهَا
وتَقْعَدْ نِصَالْ الحَرْب زَيْ مَاهِيَ
زَعْـمَـا الْفْـرَنْسِـيسْ يَـخْدَعْـهُمْ
وإلا العَرَبْ بِالْكَـذْبْ يْقَنَـعْهُمْ
بيـهَا سْـهُولَـة يُمْكِنْ يْرَجَعْهُمْ
عَلَى أَهْدَافْ ثَوْرَتْهُمْ الأَسَاسِيَة[23]

ورغم مقاطعة الجزائريين لهذا الاستفتاء الذي أصله باطل، ورغم علم ديغول بأن الجزائريين لا يصوتون لصالحه بل يريدون الانفصال النهائي عن فرنسا بالقوة، ولو امتدت الحرب إلى ما شاء الله لها أن تمتد من سنوات، إلا أن ديغول مصّر على السير في تنفيذ سياسته المغرضة قُدُماً رغم سقوط الحكومات الفرنسية الواحدة تلو الأخرى " وأوشكت فرنسا على الانهيار لولا مساعدة أمريكا والدول الأعضاء في الإتحاد الأوربي، بتقديم العون والقروض المالية إليها"[24] ومع ذلك استمر في تنفيذ سياسته التعسفية، يقول الشاعر الشعبي مختزلا كل ذلك:

دِيغُولْ قَـال سِـيَاسْـتِي نَمْـشِـيـهَا
إشْ إلِي هَمْنِي فِي إلِي احْتَجْ عْلِيهَا
قَالْ أَمْرِيكَا امْعَايَا بْـتْسَـاعَـدْنِي
وحْـلِيفْـتِي بْـرِيـطَانْيَا بْتْسَانَدْنِي
إن الغَرْبْ بالمسَاعَدَة بيُـوعْـدُونِي
سْلَاحْ حَلْفْ الأَطْلَنْطِي كُلُه لِي[25]

وأمام هذه السياسة التعسفية التي لم تأت بنتيجة، ورغم أن الاستفتاء كان "لصالحه" مزورا مسبقا، وظهور النتيجة بفوزه بأغلبية ساحقة وهي نتيجة صورية، إلا أن الشعب الجزائري استمر في المقاومة حتى النصر، وخرج في مظاهرات شعبية يوم 11 ديسمبر 1960م مطالبا بالاستقلال التام، والتنديد بأعمالها الشنيعة، يقول الشاعر مصورا هذا الوضع التاريخي الاجتماعي:

دِيغُولْ مَاعَادْشْ مَا لْـقَى حِيلَة
وَلاَعْـاَدْ لَاقَى للخِـدَاعْ وَسِيلَة
شَعْبْ الجَزَائِر كَذَبْ فِي تَضْلِيلَه
وَلَاقَـاهْ فِي المـظَـاهَرَة الشَعْبِيَة
شَـعْبْ الجَـزَائِـرْ رَغْبَتُه بَيَنْهَا
وَسِيَـاسْتُه فِي كُلْ حَدْ أَعْلَنْهَا
وهَـذَا عَمَلْ، فْـرَنْسَا حَبَتْهَا
قْعَدْ سَمْهَا يَغْلِي مْثِـيـلْ الحَيَة[26]

ويستمر الشاعر الشعبي الليبي يصب جام غضبه على سياسة ديغول المجحفة في حقّ الشّعب الجزائري التي كلّها استبداد وتنكيل وتشريد، يقول الشاعر كاشفا أسلوبه في الحكم:

دِيغُـولْ وأُسْـلُوبُـه الإِسْتِعْـمَارِي
خِرَّافْ، يَمْشِي مع الهُرَاء والـوَارِي

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

اليُومْ عَهْدْ مَايَمَنْشْ[27] بِالْفَسَادِي
وَلَا الكْذَبْ نَرْضُوا بِيهْ وَيْمَشِينَا
هَـــاذَاي عَـصْـــرْ الـذَرَة
وكُلْ الشُعُوبْ صَارَتْ اليُومْ حُرَة[28]

ويتعجب الشاعر الشعبي الليبي من إدعاء فرنسا ملكية الجزائر، والعالم كله يعلم أنها مغتصبة وطنا كان من قبل آمنا مطمئنا، فقبل استيلائها عليه، هو الذي كان يمدها بأسباب العيش، وما قصة ديون الجزائر لفرنسا عنا ببعيد، فقد: " ظلت الحكومة الفرنسية تشتري الحبوب ولا تدفع ثمنها حتى تم توقيع اتفاقية بينها وبين الحكومة الجزائرية في 17 ديسمبر 1801م، اعترفت فرنسا بموجبها بالديون المستحقة عليها"[29] والمقدرة بسبعة ملايين فرنك فرنسي[30] وهو رقم له قيمته في تلك الأيام، يقول الشاعر:

كُلْ الشُعُوبْ صَارَت اليُومْ حُرَة
إلا فْـرَنْـسَا، بْـظُلْـمْهَا مُغْتَرَة
وحُكَـامْـهَا يْقُولُو الجَزَائِر لِـينَا
بالله شُـوفُـوا الهَزْلْ والسُـخْرِيَة
عَلَى فْرَانْسَا تْقُـولْ الجَـزَائِر لي
مَاهِـيـشْ بَـلَدْ مَسَلْمَة عَرْبِيَة؟
تُـؤْمِنْ بِمُحَـمَد وَتَـتَبعْ دِينُه؟[31]

ثم يشير الشاعر إلى أن استفتاء ديغول باطل ومشروعه عاطل، ويطالبه بتقرير مصير الشعّب الجزائري المضطهد، يقول:

اسْتَفْتَاك يَا دِيغُـولْ رَاهُو بَـاطَلْ
ومَشْرُوعْ دُسْتُورَكْ ضْعِيفْ وعَاطَلْ
وغِيرْ قُولْ يَا دِيغُولْ فَـأْشْ تْمَـاطَلْ
مُحَالْ مَـاعَـادْشْ احْـنَا تْـغَـرِينَا
ظَنِـيـتْ يَـا دِيغُولْ بَاتْغَالَطْهُمْ
أبْطَالْ جَبْهَة التَحْرِيرْ بَاتْوَرَطْهُـمْ

كِيفْ يَقَبْلُوا تَغْيِيرْ جَنْسِـيَتْـهُمْ[32]

ويربط الشاعر الشعبي الليبي كالشاعر الشعبي الجزائري بين الوطنية والدين، ويعتبر من يبدل جنسيته فكأنما بدل دينه، وهذا الذي لا يرضاه الجزائريون، فالدين والوطن عندهم وجهان لعملة واحدة لا يمكن التفريط فيهما، يقول الشاعر:

أَخِي دِينَا الإِسْلاَمْ غَـالِي عْلِـينَا
أَخِي دِينَـا الإِسْـلاَمْ رَاهُـو غَـالِي
وَبَـيْـنْ الأُمَـمْ مَـرْفُـوعْ شَـرَفُه عَالِي
نَـفْـدُوه بِـالأَرْوَاحْ قـبَـلْ وَتَـالِي
وكُلْ مَن يَمُوتْ، المَوْتْ فْرَضُ عَلِيَا[33]

2-3- التغني بأبطال الجزائر:

البطولة هي بسالة خاصة بكبار الشجعان.[34] وقد أنجبت الجزائر الكثير من هؤلاء الأبطال، بدءا ببطولة الأمير عبد القادر وانتهاء ببطولة شباب الثورة الذين فجروها على مرأى ومسمع من فرنسا وحلفائها.

من الأحداث البارزة التي وقعت أثناء الثورة التحريرية، اختطاف طائرة زعماء الثورة التحريرية، والتي يمكن لنا أن نصفها بالقرصنة الفرنسية. فقد أخذت فرنسا الاستعمارية تفقد اتزانها تحت تأثير ضربات الثوار الجزائريين في الداخل وتحت تأثير الضغوط السياسية الدولية في الخارج، لجأت إلى عملية دنيئة "تمثلت في اختطاف الزعماء الجزائريين... وهذا تعبير عن الحالة الموصوفة (بفقدان الاتزان السياسي) ففي الثاني والعشرين من شهر أكتوبر 1956 م، سجل التاريخ أبشع عملية قرصنة في القرن العشرين، وزاد من بشاعة الجريمة ما اتسمت به من من الخسة والغدر لاختطاف خمسة من الزعماء الجزائريين كانوا يستقلون طائرة مراكشية[35] في طريقهم من مراكش (المغرب) إلى تونس، وهؤلاء الزعماء الخمس هم: أحمد بن بلة، محمد خيضر، أحمد آيت أحمد حسين، مصطفى الأشرف، محمد بوضياف."[36]

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

وقد تخيلت فرنسا أنها ستقضي حتما على الثورة الجزائرية، ماديا ومعنويا بمجرد اختطاف هؤلاء الزعماء، والغدر بهم، ولم تعرف فرنسا أن هذه الثورة لم تكن وليدة رغبة شخص أو بضعة أفراد، وإنما هي ثورة شعبية بالأساس تعتمد على قاعدة صلبة تحميها إرادة الشعب الجزائري بصفة خاصة ومساندة الشعب العربي بصورة عامة.[37]

وقد تغنى الشعراء الشعبيون الليبيون بأبطال الجزائر، وبهذه الحادثة بالذات التي سمع بها العالم الحر واستنكرها لأنه عمل دنيئ ليس من شيم الأحرار، وهذا الشاعر الشعبي خليفة ماعومنه يصور بطولة هؤلاء الأفذاذ وإن كان يذكر بالاسم الزعيم أحمد بن بلة وهو رمز لباقي الزعماء الثوريين والسياسيين المحنكين، وأنهم قهروا جنرالات فرنسا ومن ورائهم الحلف الأطلسي، يقول الشاعر منددا بموقف فرنسا الجبان هذا ما نصه:

لاَزَمْ الخَمْسَة يَـرْجْعُوا فِي أيْـدِيـنَا
وَمَابِينَا يْعِـيشُـوا أَسْـيَـادْ أَحْـرَارْ
مَعَ البَطَلْ بَنْ بَلَة عَـزِيـزْ عْـلِـيـنَا
قَـاهَرْ فْرَنْـسَـا بْـرَجْـلَـة الثُـوَارْ
كَـافَـحْ وَطْـنُـه وَعَـزَتْ دِيـنُـه
ونَاصَبْ قِيَـادَة فِي الجِبَـال لَوْعَـارْ
لاَ صَـاحْ بَـالهُدْنَة وَلَا السَكِينَة
ولَا يْخَافْ من البَارُودْ وَلَا مَنْ النَارْ[38]

وفي قصيدة أخرى لشاعر شعبي مجهول (وهي من الشعر الشعبي المجهول المؤلف) يتصدى الشاعر للموقف نفسه، مستنكرا إياه، فهو عمل لا ترضاه النفوس الأبية، يقول في قصيدة (من وحي أسبوع الجزائر المكافحة) ما نصه موجها الخطاب لفرنسا:

الزُعَمَاء الخَمْسْ بأَشْ تْصَدِيتُوهُمْ
غِيرْ كِيفْ يَا دِيغُولْ حَصَـلْتُوهُمْ
هَـاكُمْ بِفِعْل القَرْصَنَة غْدَرْتُوهُمْ
ولِيـكُمْ الـغَـدْرْ صَحِيحْ زَيْ مَارِينَا
كُنْـتُـوا تْـضَـنُوا يُـومْ مَا شَدِيتُوا

الـزُعَـمَـاءْ الخَـمْـسْ وَتهَـنِـيـتُوا
وَتَمَتْ الثَـوْرَة انتُـمْ عْلِيـنَا قَضِيتُمْ
وقُلْـتُـوا كَـمَـلْ الحَـرْبْ وانْهِـينَا
الزُعَمَاءْ الخَمْسْ هُنَاكْ مَنْ يَحْمِيهُمْ
هُنَاك جَيْشْ يَأْخُذْ ثَارْهُمْ وَيْفِدْيهُمْ
أُسُـودْ فِي جِبَالْ الأَوْرَاسْ جَرَبْتْهُم[39]

أما الشاعر عبد السيد الصابري، فيحيي هؤلاء الأبطال المجاهدين، مركزا على المجاهدة جميلة بوحيرد التي بعثت في العرب النخوة والعزة والكرامة، فهي رمز للمرأة الجزائرية المجاهدة[40]، التي وقفت إلى جانب أخيها الرجل (المجاهد) من أجل صد عدوان فرنسا ومؤازرة له حتى النصر أو الاستشهاد، يقول:

يْمُوتْ من المجَاهَد في سْبَايَبْ دِينُه
وعَـمَل جَمِيـلَة وَالْـكُلْ زَادَتْ فِينَا
عَـزْمْ وَشَـرَفْ عليه دُومْ بْقِـيـتِي
اسْمَكْ غَالِي
بينْ العَرَبْ مَشْهُورْ صِيتَكْ غَالِي
بْنِيتِي الكَرَمْ والشَرَفْ قْـبَـلْ تَالِي
رْفَعْتِي العَرَبْ فُوقْ وِينْ عَـلِيتِي[41]

2-4- التنبؤ باستقلال الجزائر:

ما كان مصير ثورة كالثورة الجزائرية إلا النصر، لأنها ثورة حق، وثورة شعبية. احتضنها كافة الشعب الجزائري ودفع من أجل إنجاحها النفس والنفيس، وتابع أبناء العروبة تطورات هذه الثورة الخالدة وتنبؤوا بالنصر، وتيقنوا من رفرفة علم الحرية على ربوع الوطن. وهذا الشاعر الشعبي خليفة ماعومنة يصور هذا التنبؤ بقوله في قصيدة (الجزائر الدامية) ما نصه:

لاَ لاَ لُمْتِي يَا فْـرَنْسَا تْـعَـادِينَا

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

يْجِي يُومْ عَرْشَـكْ بـالجِهَادْ يَنْهَار
يُومْ تْشَبْجِي جُنْدِيكْ تَبْكِي عَيْنِيهْ
وَلاَبَـسْ ثْـيَـابْ السُـكْنَة والعَارْ
وبالقَـلَمْ نَمْـضِي، قَهَرْتَك يَـا غَبِيَة
وتَمْـسَى الجَـزَائِرْ شَـاعْـلَـة الأَنْوَارْ[42]

"وشاعلة الأنوار" هو استقلال الجزائر في 05 جويلية 1962 م، و"النصر للجزائر" على حد تعبير المرحوم أبي القاسم سعد الله.

خاتمة:

وفي الختام وبعد هذا العرض توصلنا إلى نتيجة مفادها وهي أن الثورة الجزائرية كان لها الأثر البالغ على نفسية الشعراء العرب سواء المشارقة أو المغاربة وخاصة الشعراء اللّيبيين، إما على مستوى الشعر الرسمي الفصيح أو الشعر الشعبي. هؤلاء الشعراء ساندوها بأشعارهم ووقفوا إلى جانب الثوار المجاهدين الجزائرين يشجعونهم على المضي قدما حتى النصر أو الشهادة. وكان الشعب – عموما- يقرأ هذه الأشعار الملتزمة بالقضية الجزائرية لأن الشعراء نظروا إليها كواجب قومي وإنساني. لأنها قضية شعب أراد الحياة بعزة وكرامة كباقي أحرار العالم. ويمكن لنا أن نخلص مما سبق أن الثورة الجزائرية ثورة عادلة لأنها ثورة حق قام بها شعب استعبد مدّة أكثر من قرن وربع، مما جعل الشعراء العرب وأحرار العالم يتجاوبون معها. كما دعا الشعراء الشعبيون الليبيون إلى مقاطعة فرنسا على المستوى الإقتصادي وهذا نوع من مقاومة الشعوب لنصرة بعضها البعض خلال أزماتها وخاصة أثناء الثورات، كما أدانوا سياسة ديغول التعسفية تجاه الشعب الجزائري المستضعف أنا ذاك. وأيضا تنبأ الشعراء الشعبيون الليبيون بإستقلال الجزائر وقد تحقق ذلك.

الهوامش:

1- م.روزنتال ي يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 3، يونيو 1986 م، ص155.

2- أنظر: مجلة الثقافة، السنة الخامسة، العدد 28، رجب شعبان 1395هـ، أوت سبتمبر 1975 م، ص 80.

3- أنظر: المرجع نفسه، ص 79.

4- شوقي ضيف: الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف، مصر، ط2 د.ت، ص 231.

5- أنظر: المرجع نفسه، ص 231.

6- مجلة الثقافة، السنة الخامسة، العدد 28، رجب شعبان 1395هـ، أوت سبتمبر 1975 م، ص 80.

7- أنظر: محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال 1830 م – 1962 م، دار القصبة للنشر، ط 2012، ص 7-28.

8- أنظر: التلي بن الشيخ : دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، 1930-1945 م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1983.

9- أنظر: أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي (شعر الثورة المسلحة)، اعداد وتقديم، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، وحدة الطباعة بالرويبة، الجزائر، د.ت.

10- محمد ودوع : الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2014، ص 05.

11- أنظر: المصدر نفسه، ص 120.

12- هكذا ورد في أصل النص، لفاته، ونظنه لغاته من الالغاء، وبهذا يستقيم المعنى أكثر.

13- محمد ودوع: الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص 120.

14- ج سرڤان شربر، جندي في الجزائر، نقله إلى العربية لجنة من الأساتذة الجامعيين، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، مارس 1960 م، ص ص46، 47.

15- محمد ودوع : الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص ص 123، 124.

16- خلتها: خلاتها، أخلتها.

17- بها: بهذا.

18- محمد ودوع : الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص ص 123، 124.

19- عمارة عمورة، نبيل داودة، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى 1962 م، ج 1، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر، ط 2009 م، ص 354.

20- محمد ودوع: الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص 121.

21- عمارة عمورة، نبيل داودة، الجزائر بوابة التاريخ، ص 355.

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

22- محمد ودوع: الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص ص 121، 122.
23- المصدر نفسه، ص 122.
24- عمارة عمورة، نبيل داودة، الجزائر بوابة التاريخ، ص 360.
25- محمد ودوع: الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص 122.
26- المصدر نفسه، ص 123.
27- مايمنش: لا يؤتمن جانبه.
28- محمد ودوع: الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص 192.
29- إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1982 م، ص 09.
30- أنظر: المرجع نفسه، ص 09.
31- محمد ودوع: الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص 192.
32- محمد ودوع: الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص ص 192، 193.
33- أنظر: المصدر نفسه، ص 193.
34- جبور عبد النور : المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984 م، ص 50 .
35- مراكشية: مغربية، فالمغرب الأقصى كان يطلق عليه قديما مراكش.
36- مصطفى طلاس، بسام العسلي، الثورة الجزائرية، مكتبة دار طلاس، دمشق، سورية، دار الرائد للكتاب، الجزائر ط 2010 م، ص 325.
37- أنظر: المرجع نفسه، ص 325.
38- محمد ودوع: الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص ص 185، 186 .
39- محمد ودوع: الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص ص 193، 194.
40- بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية (والإرهاب الإستعماري)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 3، 1411 هـ - 1990 م.
41- محمد ودوع: الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص 125، قصيدة عبد السيد الصابري، منشورة في جريدة الرائد، بتاريخ 04/05/ 1958 م، ص 04.
42- محمد ودوع: الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، ص 186.

*** *** ***